# إحياء النحو

لإبراهيم مصطفى

# إحياء النحو

لإبراهيم مصطفى

( توفي ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م )

الطبعة الثانية

الطبعة الأولى ١٩٣٧
الطبعة الثانية ١٤١٣ : ١٩٩٢ القاهرة

# تقديم الكتاب

## للأستاذ الدكتور طه حسين بك

هذا كتاب سيراه الناس جديداً ، وما أرى أنهم سيتلقونه بما تعودوا أن يتلقوا به الكتب من الدعة والهدوء . وما أحسبني أخطئ إن قدرت أنهم سيدهشون له ، وأن كثيراً منهم سيضيقون به ، وقد يتجاوزون الضيق إلى الخصومة العنيفة والإنكار الشديد ، لأن الكتاب جديد كما قلت ، فى أصله وفى صورته ، وهو من أجل ذلك يخالف كثيراً جدا مما ألف الناس ، وقد يغير كثيراً جدا مما ألف الناس . فلا غرابة فى أن يلقوه بالدهش ، وفى أن يثور به الثائرون .

ولكنى مع ذلك لا أقدمه إلى الناس كما أقدم شيئاً جديداً بالقياس إلىَّ ، فإن عهدى به قديم ، وإلفى له متصل . ولست أجاوز القصد إن قلت إنى لقيته لقاء الصديق ، واستمعت له كما أستمع لحديث الصديق ، فى كثير من الحب والحنان

والوفاء . فهو يذكرني أكثر أطوار حياتي العامية ، منذ أخذت أطلب العلم صبيا وشابا إلى الآن . ذلك أنه كتاب نشأ مع عقل صاحبه ، وتطور بتطوره ، واختلفت عليه الصروف ، كما اختلفت على صاحبه الصروف ، ثم خرج منها كما رأيته وكما سيراه القراء ، قويا صلباً متيناً ، لا يعرف الضعف ولا الفتور ، ولا يعرف الخور ولا لين القناة .

أنا قديم العهد به ، ألقاه الآن لقاء الصديق ، لأني قديم العهد بصاحبه ، ما لقيته قط إلا امتلأت نفسي بهجة ورقة ، وحنانا ، لأني أرى فيه خير ما مر بي من أطوار الحياة ، وشر ما مر بي من أطوار الحياة أيضا . وأراه الصديق الأمين والأخ الوفي ، في أطوار الخير والشر جميعا ؛ وأرى معه هذا الكتاب يتحدث إليّ به ، ويجادلني فيه ، ويلح علي في الحديث والجدال . فلا يبلغ الحاحُه مني مللا ولا سأما ، وإنما يثير فيّ رغبة مجردة إلى المناقشة والحوار .

وما رأيك في أني أعرف إبراهيم منذ آخر الصبا وأول الشباب ، حين كنا نلتقي في حلقات الدرس في الأزهر الشريف

فنسمع لشيوخنا ، ثم نلتقى بعد الدرس فنعيد ما كانوا يقولون نكبر أقله فنستبقيه فى أنفسنا ، ونصغر أكثره فنعرض عنه إعراضا ، أو نتخذه موضوعا للعبث والمزاح .

وحين افترقنا فذهب هو إلى دار العلوم وبقيت أنا فى الأزهر ، ثم أبى الله إلا أن يجمعنا ، ولما يمض على فراقنا إلا أقل الوقت وأقصره ، فإذا نحن نلتقى فى غرفات الجامعة المصرية القديمة ، نسمع للأساتذة المحدثين من المصريين والأجانب ، ثم لا نكاد نخرج من غرفات الدرس ، حتى يتصل بيننا الحديث كما كان يتصل بيننا فى الأزهر ، وإذا دروس الجامعة تفتح لحوارنا آفاقا طريفة ، كنا نستلذ بها ونستحبها ، فنمضى فى الحوار وننسى له كل شىء وكل إنسان . نقطع الآماد البعيدة ماشين وقد أُنسينا جهد المشى ، وصرفنا عما حولنا من حركة الحياة واضطراب الأحياء ، وقد ننتهى إلى مكان نأوى إليه ثم ننسى أنفسنا فيه ؛ قد صُرفنا عن هذا المكان وعن أنفسنا ، وعمن يحيط بنا من الناس ، إلى ما نحن فيه من حوار ، وإلى ما نستمتع به من لذة الحديث .

ثم نفترق مرة أخرى ، فيذهب هو إلى مصر العليا مشتغلاً بالتعليم . وأذهب أنا إلى ما وراء البحر مشتغلاً بالتعلم ، وينقطع الحوار بيننا ، وتنقطع الرسائل أيضاً ، ويكاد يخيل إلى كل واحد منا أنه قد نسى صاحبه ، وأن صاحبه قد نسيه . وتمضى على ذلك الأعوام الطوال ، ثم نلتقى ، ولا نكاد نأخذ فى الحديث حتى يتبين كل واحد منا أنه لم ينس صاحبه قط ، وكأنما التقينا أمس واستأنفنا لقاءنا اليوم ، فنحن نصل حديثاً لم نقطعه إلا أمس ، وإن كنا قد قطعناه منذ أعوام طوال .

ثم يريد الله أن يجمعنا بعد الافتراق مرة أخرى ، فإذا نحن فى الجامعة المصرية الجديدة نعمل معاً فى التعليم ، بعد أن كنا نشتغل معاً فى التعلم . وإذا أحاديثنا تتصل فى الجامعة الجديدة ، كما كانت تتصل فى الجامعة القديمة ، وكما كانت تتصل فى الأزهر الشريف ، وإذا الأمر يتجاوز بيننا اتصال الأحاديث ، فيجد كل منا لذة فى أن يختلف إلى بعض ما يلقى صاحبه من دروس ، ويشارك فيما يثير بين الطلاب من مناقشة أو حوار .

ثم تفرق الأيام بيننا — أستغفر الله — تحاول الأيام أن تفرق بيننا فلا تستطيع . أخرج أنا من الجامعة وألزم دارى حيناً ، وأشتغل بالسياسة العنيفة حينًا آخر ، ولكنى ألقى صاحبي أكثر مما كنت ألقاه قبل المحنة ، ويتصل الحديث بيننا أكثر مما كان يتصل قبل الأزمة . ثم أُعاد إلى الجامعة ، وإذا نحن نعود إلى الاشتراك فى الدرس ، ونمضى فيما كنا فيه من الجدل والحوار .

وكان النحو أشد موضوعات الحديث خطراً ، وأكثرها جريانًا فيما كان يكون بيننا من حوار . ضقنا بأصوله القديمة منذ عهد الأزهر ، وأخذنا ننكر هذه الأصول أيام الجامعة القديمة ، وأخذنا نلتمس له أُصولاً جديدة منذ التقينا فى الجامعة الجديدة .

فأنت ترى أنى حين أقدم إليك هذا الكتاب الجديد ؛ إنما أقدم إليك صديقًا قديمًا عرفته منذ عهد بعيد جداً ، ورأيته يشب وينمو ويتطور حتى تم خلقه واستوى كما تراه فى هذه الصفحات .

ولعلك بعد هـذا تصدقنى إن قلت لك إنى الآن حائر لا أدرى أى الطريقين آخذ ؟ وأى الطريقين أدع ؟ طريق الحديث عن الكتاب ، أم طريق الحديث عن صاحب الكتاب ؟ فكلاهما يملأ نفسى حبًا وحنانًا وإعجابًا .

فأما الكتاب ، فلأنه لا يصور الحياة العقلية لصاحبه وحده منذ أكثر من ربع قرن ، ولكنه يصور طرفًا من أطراف الحياة العقلية لى أنا أيضًا ، وإن صاحبي ليقرأ على الباب من أبواب الكتاب فلا أسمع صوت صاحبي ، وإنما أسمع صوت إبراهيم ، ولا أتجه إلى ما أسمع كما تعودت أن أتجه لما يقرأ على من الكتب والأسفار ، وإنما أتجه له فى شئ من الاستعداد للمناقشة والتهيؤ للجدل والتأهب للنقد الشديد ، كأنى أناقش إبراهيم فى مسألة من مسائل النحو ، وما أعرف أنى لقيته فأطلت لقاءه ثم افترقنا دون أن نلم بطرف من أطراف النحو ونخوض فى مسألة من مسائله ، ونستحضر قول هذا النحوى أو ذاك ، ونحاول تخريج هذا البيت أو ذاك .

والكتاب بعد هذا أو قبل هذا يصور صاحبه أدق تصوير وأصدقه وأبرعه ، فهو برئ كل البراءة من هذا الغلو الذى يمتاز به المجددون فى لون من ألوان العلم ، فإذا هم يفتنون بآرائهم الجديدة ، ويفنون فيها ، وينسون كل قصد واعتدال ، ويتكلفون فى سبيل ذلك ما يقبل وما لا يقبل من الرأى ، ويحتملون فى سبيل ذلك ما يطاق وما لا يطاق من التبعات .

والكتاب برئ من هذا كله ، يزينه قصد صاحبه وإيثاره للاعتدال . تقرأه فلا تحس أنك تُنتزَع من النحو القديم انتزاعا ، وإنما تحس أنك تمعن فيه إمعانا ، وكأنك تقرأ كتب الأئمة المتقدمين من أعلام البصرة ، أو الكوفة أو بغداد .

علم غزير صحيح بأصول اللغة وفروعها ، ومذاهب النحويين والأدباء فى فهم هذه الأصول والفروع وتخريجها ، وتحدث عن ذلك بلغة الرجل الذى ألفه وتعوده ، فليس متكلفاً له ولا محدثا فيه ، وتواضع لا يفرضه صاحبه على نفسه

ولا يحتال فى الازديان به ، وإنما هو صورة للطبع ومكون من مكونات المزاج .

تواضع تحسه ، فيفيض فى نفسك حب صاحبه ، والميل إليه ، والإعجاب به ، والثقة بما يلق إليك من الحديث . وأمانة فى الرأى والنقل جميعاً ، لا تكاد تمضى فى الكتاب حتى تحسها قوية جلية ، كأقوى ما تكون الأمانة وأجلاها وإذا أنت ترى المؤلف يحاسب نفسه أشد الحساب كلما خطر له رأى . وكلما جرى قلمه بكلمة ، أبغض الناس للتزيد ، وأشد الناس انصرافاً عن هذا التهاون مع النفس ، الذى يبيح لكثير من الناس مالا يباح للعالم الخليق بهذا الوصف .

ثم فقه بعد هـــذا كله بدقائق النحو ودخائله ، يجعله يضطرب فى هذا العلم العويص الملتوى ، كما يضطرب الرجل فى بيت ألفه منذ نشأته ، وعرف زواياه وخفاياه ، فهو لا يخطو إلا عن علم ، ولا يتقدم إلا عن بصيرة .

وهذا الفقه لدقائق النحو ودخائله ، هو الذى ملأ قلب إبراهيم حباً للنحو ، وكلفا به ، وحنيناً إليه ، وعطفاً عليه ،

فهو يدرس النحو رفيقاً به متلطفاً فى الدرس ، كأنه يخاف أن يؤذيه أو يشق عليه ، وكأنه يكره أن يناله بما لا يحب .

يقف عند مسألة من مسائل النحو ، فيطيل النظر فيها مشغوفاً بها ، ثم إذا أرضى فيها حاجته عاد إليها فأطال الوقوف عندها والنظر فيها ، متهماً فهمه الأول ، ملتمسا أشياء يشفق أن تكون قد غابت عنه ، أو خفيت عليه . ثم هو يقلب المسألة على وجوهها المختلفة ، وأشكالها المتباينة ، ثم هو لا يرضى بكتاب أو كتابين أو كتب ، ولا يقنع فيها برأى إمام أو إمامين أو أئمة ، ولكنه يستقصى ويمعن فى الاستقصاء . وإذا المسألة التى يدرسها من مسائل النحو قد أصبحت عنده كائنا حيا له تاريخه ، فهو يتتبع هذا التاريخ من أصوله . يرجع إلى أصل هذه المسألة كيف نشأت ، وكيف تصورها النحويون الأولون ، وكيف تحدرت منهم إلى كتب الأجيال المختلفة من النحاة ، وبأى طور مرت عند ذلك الجيل ، وإلى أى طور انتقلت عند هذا الجيل ، حتى إذا أرضى نفسه من هذا الاستقصاء ، وما أصعب رضا نفسه ،

عاد إلى المسألة يدرسها من جديد كأنه لم يدرسها من قبل ، ولكنه فى هذه المرة لا يلتمسها فى كتب النحويين ، وإنما فى كلام العرب على اختلاف أجيالهم . يوازن بين ألوان هذا الكلام ويستخلص منه ما يرى أنه الحق ، وإذا هو يتفق مع النحويين حيناً ويخالفهم أحياناً ، وليس هذا الكتاب إلا تصويراً لبعض النتائج التى وصل إليها من هذا الدرس المزدوج .

وإنى لمعجب أشد الإعجاب بهذا الصبر الطويل ، وهذا الجلد الذى لا أعرف له نظيراً فى هذا الجيل الذى نعيش فيه ، فليس يسيراً أن تعاشر النحويين فتطيل عشرتهم ، فضلاً عن أن تنفق حياتك كلها فى مصاحبتهم ، والتحدث إليهم ، والتحدث عنهم .

والناس بعد يضيقون بالنحو ويتبرمون بحديثه ، فما بالك برجل قد أصبح يضيق بكل شىء لا يتصل بالنحو ، ويتبرم بكل حديث لا يمس النحو من قريب أو بعيد ، حتى سميناه فيما بيننا بالفراء .

أنا معجب بهذا الصبر ، ولكن إعجابي بنتائجه عظيم أيضاً ، وما رأيك في رجل يستطيع أن يؤرخ نشأة النثر العربي يستخلص تاريخه لهذا الفن الأدبي العظيم من درس النحو وإطالة النظر فيه ، ويصل إلى نتائج باهرة حقاً ؟ وما رأيك في رجل يطيل النظر في النحو ، فإذا هو يردُّ تفكير النحويين إلى تفكير الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين ، وإذا هو يرد قصور النحو وتقصيره إلى علته الطبيعية ، وهي أن النحويين قد فلسفوا النحو ، فقصروا به عن أن يذوق جمال العربية ، ويصور ذوقها كما كان ينبغي أن يصور .

وهو لا يتحدث إليك بهذا كله حديث المدعي بغير دليل ، أو المتكثر من غير طائل ، ولكنه أمين دقيق ، لا يقول إلا عن علم ، ولا يرى إلا عن بصيرة ؛ دليله معه دائماً ، ودليله ملزم دائماً ، لأنه لا يحاول أن يقنعك إلا بعد أن يفرغ من إقناع نفسه ، وليس إقناعه نفسه بالشيء اليسير .

أليس هذا كله خليقاً أن يحبب إلى الحديث عن هذا الكتاب وتقديمه إليك ؟

أليس هذا كله خليقاً أن يصرفنى إلى الكتاب عن صاحبه ؟ ولكن صاحب الكتاب كما قلت ملائم أشد الملاءمة لكتابه ؛ لا ترى فى الكتاب خصلة إلا وهى مستمدة من نفس صاحبه ، ملائمة لطبعه ، مشتقة من مزاجه ، فهو أبعد الناس عن التكلف ، وأبغضهم للتصنع ، وأشدهم ترفعا عن الرياء .

ما فى الكتاب من صدق اللهجة ، صورة ما فى صاحبه من صدق الخلق . وما فى الكتاب من الدقة والأمانة ، صورة ما فى صاحبه من الدقة والوفاء . وما فى الكتاب من القصد والاعتدال ، صورة ما فى نفس صاحبه من التواضع الذى يكرم به الرجل ، ويملأ قلوب الذين يعرفونه حبا وإكباراً ووفاء .

أقبل على إبراهيم ذات يوم ، فقرأ على فصولا من كتابه هذا . فأبيت عليه إلا أن يمضى فى القراءة من الغد ، وما زلنا كذلك ، يقرأ وأسمع وأناقش ، حتى فرغنا من قراءة الكتاب ولم يكن يعرف له اسما ، فاقترحت عليه هذا الاسم الذى رسمه به « إحياء النحو » فأكبره واستكثره وأشفق منه ،

وألححت أنا فيه ، فلم يستطع لى خلافا .

وأنا أتصور إحياء النحو على وجهين : أحدهما أن يقربه النحويون من العقل الحديث ليفهمه ويسيغه ويتمثله ، ويجرى عليه تفكيره إذا فكر ، ولسانه إذا تكلم ، وقلمه إذا كتب . والآخر أن تشيع فيه هذه القوة التى تحبب إلى النفوس درسه ومناقشة مسائله ، والجدال فى أصوله وفروعه ، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه ، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه .

وأشهد لقد وفق إبراهيم إلى إحياء النحو على هذين الوجهين . فانظر فى هذا الكتاب فسترى أن إبراهيم لا يعرض عليك علماً ميتاً ، وإنما يعرض عليك علماً حيا يبعث الحياة فى الذوق .

ثم سترى أن إبراهيم لا يعرض عليك مسائل جامدة هامدة ، ولكنه يفتح للنحويين طريقاً إن سلكوها فلن يحيوا النحو وحده ، ولكنهم سيحيون معه الأدب العربى أيضاً .

ثم انتظر بهذا الكتاب وقتا قصيراً ، فسترى أنى لم

أغلُ ولم اسرف ، حين زعمت فى أول هـذا الحديث أنه سيحفظ قوما ، وسيدفعهم إلى الخصومة والجدال دفعا .

فالكتاب كما ترى ، يحيي النحو لأنه يصلحه ، ويحيي النحو لأنه ينبه إليه من اطمأنوا إلى الغفلة عنه ، وحسبك بهذا إحياء .

أرأيت أنى كنت خليقا أن أقف موقف الحائر ! لا أدرى أأتحدث عن الكتاب أم عن صاحبه ، وإنى خليق الآن بعد أن بينت لك مصدر هذه الحيرة أن أكتفى من تقديم هذا الكتاب إليك ، بأن أسجل بهذه الكلمة القصيرة القاصرة ما يملأ قلبى من حب لإبراهيم ، وما يملأ عقلى من إعجاب بكتاب إبراهيم ؟

طه حسين

---

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث من النحو ، عكفت عليه سبع سنين وأقدمه إليك فى صفحات . سبع سنين من أوسط أيام العمر وأحراها بالعمل ، صدَقتُ فيها الاعتكاف إلى النحو ، وإلى ما يتصل بمباحثه ، وأضعت له من حق الصديق والأهل والولد والنفس جميعاً .

كان سبيل النحو موحشا شاقا ، وكان الإيغال فيه ينقض قواى نقضا ، ويزيدنى من الناس بعدا ، ومن التقلب فى هذه الدنيا حرمانا . ولكن أملاً كان يزجينى ويحدو بى فى هذه السبيل الموحشة ؛ أطمع أن أغير منهج البحث النحوى للغة العربية ، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو ، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة ، تقربهم من العربية ، وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها .

كانت بارقات الأمل — خادعة وصادقة — تدفعنى فى

سبيلى ، غير راحمة ولا وانية . فليكن ما أنفق من هذا العمر ذخراً فى أعمار الدارسين من بعد ، ولتكن شيخوخة هذا الشيخ فدًى للعربية ؛ أن تُقَرِّب من طالبيها ، وَيُمَهِّدَ السبيل لمتعلميها .

اتصلت بدراسة النحو فى كل معاهده التى يدرس فيها بمصر ، وكان اتصالاً طويلاً وثيقاً ؛ ورأيت عارضة واحدة ، لا يكاد يختص بها معهد دون معهد ، ولا تمتاز بها دراسة عن دراسة ، هى التبرم بالنحو ، والضجر بقواعده ، وضيق الصدر بتحصيله ؛ على أن ذلك من داء النحو قديماً ، ولأجله ألف « التسهيل » و « التوضيح » ، و « التقريب » ، واصطُنع النظم لحفظ ضوابطه ، وتقييد شوارده .

والنحو مع هذا لا يعطيك عند المشكلة ، القول البات ، والحكم الفاصل . قد يهدى فى سهل القول ، من رفع فاعل ونصب مفعول ، فإذا عرض أسلوب جديد ، أو موضع دقيق ، لم يسعفك النحو بالقول الفصل ، واختلاف الأقوال ، واضطراب الآراء ، وكثرة الجدل التى لا تنتهى إلى فيصل

ولا حكم ، كل ذلك قد أفسد النحو أو كاد ، فلم يكن الميزان الصالح لتقدير الكلام ، وتمييز صحيح القول من فاسده .

وإذا جئنا إلى مدارس الناشئين ، كانت المشكلة فى تعليمهم النحو أشد وأكدّ ؛ فهو على ما تعلم من بُعد تناوله ، وصعوبة مباحثه ، قد جُعل المفتاح إلى تعلم العربية ، وكُتب على الناشىء أن يأخذ بنصيبه منه ، منذ الخطوة الأولى فى التعليم الابتدائى والثانوى . واختير له جملة من القواعد ، قدر أنها تفى بما يحتاج إليه لأصلاح الكلام وتقويم اللسان ، ثم كانت خصومة هادئة قاسية بين طبيعة التلميذ ، وبين هذا المنهاج والقائمين عليه . أما التلميذ فقد بذل الجهد وأعيا ، ولم يبلغ من تعلم العربية أربا . وأما أصحاب المنهج ، فقد رأوا أن يزيدوا فى منهجهم ، ويكملوا للتلميذ حظه من القواعد ، فلا سبيل له إلى العربية غير هذا النحو ؛ فزادوا فى هوامش كتبهم ما يكمل القواعد ويتم الشروط — ثم تسللت هذه الزيادات إلى جوف الكتاب فضخم ، وزاد المنهاج المفروض — ولكن طبيعة التلميذ الصادقة فى إباء هذه القواعد ، والتململ بحفظها ، لم تخف

شهادتها ، ولم يستطع جحدها ، فكانت ثورة على المنهاج وأصحابه ، وخفف منه ، وانتقص من مسائله ، والداء لم يبرأ ، والعوارض لم تتغير ، وتكررت الشكوى ، وعادوا على المنهاج بالنقص ، حتى كان المقرر قواعد من النحو مختلفة ، كأنما هى نماذج يراد بها عرض نوع من مسائله .

قد كان فى هذا ، الشهادة الصريحة بفشل هذا النحو أن يكون السبيل إلى تعلم العربية ، والمفتاح لبابها .

ولقد بذل فى تهوين النحو جهود مجيدة ، واصطنعت أصول التعليم اصطناعا بارعا ، ليكون قريباً واضحاً ؛ على أنه لم يتجه أحد إلى القواعد نفسها ، وإلى طريقة وضعها ، فيسأل : ألاَ يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده ، وأن يكون الدواء فى تبديل منهج البحث النحوى للغة العربية ؟

هـــذا السؤال هو الذى بدا لى ، وهو الذى شغلنى جوابه طويلا .

ولقد تميز عندى نوعان من القواعد : نوع لا تجد فى

تعليمه عسراً ، ولا فى التزامه عناء ، ولا ترى خلاف النحاة فيه كبيرا ، وذلك كالعدد ورعاية أحكامه فى مثل : قال رجلان ، والرجلان قالا . وقال رجال ، والرجال قالوا . فمع دقة الحكم فى رعاية العدد ، واختلافه تبعاً لموضع الاسم والفعل من الجملة ، لا تجد العناء فى تصوره ، ولا المزلة فى استعماله .

ونوع آخر لا يسهل درسه ، ولا يؤمن الزلل فيه ، وقد يكثر عنده خلاف النحاة ، ويشتد جدلهم ، كرفع الاسم أو نصبه فى مواضع من الكلام .

ثم رأيت علامات العدد تصوّر جزءًا من المعنى يحسه المتكلم حين يتكلم ، ويدركه السامع حين يسمع . أما علامات الإعراب ، فقلّ أن ترى لاختلافها أثراً فى تصوير المعنى ، وقلّ أن يشعرنا النحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع ؛ ولو أنه تبع هذا التبديل فى الإعراب تبديل فى المعنى ، لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه ، ولكان هو الهادى للمتكلم أن يتبع فى كلامه وجهاً من الإعراب .

فلو أن حركات الإعراب كانت دوالّ على شىء فى

الكلام ، وكان لها أثر في تصوير المعنى ، يحسه المتكلم ويدرك ما فيه من الإشارة ومن وجه الدلالة ، لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة ، ولا كان تعلمه بهذه المكانة من الصعوبة ، وزواله بتلك المنزلة من السرعة .

ألهذه العلامات الإعرابية معان تشير إليها في القول ؟ أتصور شيئاً مما في نفس المتكلم ، وتؤدى به إلى ذهن السامع ؟ وما هي هذه المعاني ؟؟ .

والعربية — لغة القصد والإيجاز — أتلتزم علامات الإعراب على غير فائدة في المعنى ، ولا أثر في تصويره ؟

لقد أطلت تتبع الكلام ، أبحث عن معاني لهذه العلامات الإعرابية ، ولقد هداني الله — وله خالص الإخبات والشكر — إلى شيء أراه قريباً واضحاً ، وأبادر إليك الآن بتلخيصه :

(١) إن الرفع علم الإسناد ، ودليل أن الكلمة يتحدث عنها .

(٢) إن الجر علم الإضافة ، سواء أكانت بحرف أم بغير حرف .

(٣) إن الفتحة ليست بعلم على إعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة ، التي يحب العرب أن يختموا بها كلماتهم ما لم يلفتهم عنها لافت ؛ فهى بمنزلة السكون فى لغتنا الدارجة .

(٤) إن علامات الإعراب فى الاسم لا تخرج عن هذا إلا فى بناء ، أو نوع من الاتباع ، وقد بيناه أيضاً .

فهذا جماع أحكام الإعراب ؛ ولقد تتبعت أبواب النحو باباً باباً ، واعتبرتها بهذا الأصل القريب اليسير ، فصح أمره ، واضطرد فيها حكمه .

ثم زدت فى تتبع هذا الأصل ، فتجاوزت حركات الإعراب ، ودرست التنوين على أنه منبئٌ عن معنى فى الكلام ، فصح لى الحكم واستقام ، وبدّلت قواعد « ما لا ينصرف » ، ووضعت للباب أصولاً أيسر وأنفذ فى العربية مما رسم النحاة للباب . ولا أؤجل عنك إجمال هذه الأصول أيضاً :

(١) إن التنوين علَم التنكير .

(٢) لك فى كل عَلَم ألا تنوّنه ، وإنما تُلحقه التنوين

إذا كان فيه حظ من التنكير .

(٣) لا تُحرم الصفة التنوين حتى يكون لها حظ من التعريف .

والبحث الذى أقدمه إليك الآن ، هو شرح موجز لهذه الفكرة ، ودرس لها فى أبواب النحو المختلفة ، وبيان لما رأينا من الأدلة لتأييدها .

وكنت أريد أن أشكر لصديقى الدكتور طه حسين ، وأذكر فضله فى إتمام البحث وإخراج الكتاب ؛ ولكنه آثر أن يقدم الكتاب ، وانزلق إلى الثناء على صاحبه ، فأُجْرِرت أن أتكلم .

وحق علىّ أن أشكر تلاميذى الذين عاونونى فى شىء من المباحث ، وإن لم أملك الآن أن أسميهم وأعمالهم .

وأحمد الله حمداً ملؤه التوحيد والتمجيد والشكر .

---